الحرف

إلى كل من يؤمن معي أن أمتنا
انتصرت بالحرف قبل السيف.

الله بـالحرف نادانـا .. فأغلانـا ... ورش بـالطيب معنـاه، ومعنانـا
ترنـحّ الكـونُ مـن إبداعنـا، ومشـى ... تيهـاً يبـاهي بنـا في الغيـب أكوانـا
فليس للحسـن مـن يجلـو متارفَـه ... ويسـكرُ الدهـرَ في نجـواه إلآنـا
بـالحرف ينهّـل إيحـاءً، وعاطفـةً ... علـى الصبابـات إيثـاراً، وإحسـانا
هـذا الخيـال ـ وجـلّ الله ـ نبدعـه ... روحـاً، وفنـاً، وأطيابـاً، وألحانـا
ينساب في حرفنا المسفوح من دمنا ... معنـى الألوهـة، إبداعـاً، وبرهانـا
حـوّاء مـن آدم كـانت هـوىً، ومنـىً ... والحـرف مـن قلبنـا حبـاً، وتحنانـا
فما ابتنى الكونَ لولا خلقهم بشرٌ ... ولا درى الحـب مـا معنـاه لولانـا
يبقـى الوجـودُ، ومعنـاه بـلا فـتنٍ ... حتـى نـذوّب في معنـاه معنانـا
يخلّـد الدهـرُ ذكرانـا فتمنحـه ... روحَ الخلـود... فـروحُ الخلـد ذكرانـا
إيوان كسرى، وكسرى، والبناة قضوْا ... وعـاش إيوانـه في الحـرف أزمانـا
نحن الذين على الأكوان قد طلعوا ... كأنمـا الله للأكـوان أهدانـا
نحـن الذيـن سـكبنا كـل سـانحة ... سحراً حلالاً مصفىً من عطايانا
مَـن غيرُنـا دلـلّ الأحـزان إن نزلـت ... ومـن سـوانا أحـال اليـأس إيمانـا!

نـوزع الحـبَّ في الدنيـا، ونزرعـه ... فيـورق الصخـر إن مسّـته نجوانـا
فنحن أرباب هذا الحسن من زمنٍ ... نعطي العطاء، ونجني منه حرمانا
فـأي ليليـةِ العينـين مـا كحلـت ... بمـرود الحـرف جفنـاً بـات فتّانـا!
ما حسن «عبلةَ» لولا شعرُ «عنترة» ... مـا ربْـعُ «ميَّـةَ» لـولا وَجْـد «غيلانـا»
ولـ «امـرئِ» القيـس» أنغـام معتقـة ... في حـب «فـاطم» غنتّهـا صبايانـا
«أفاطم» الحسـن مهلاً بعضَ دلّكمُ ... وأجملـي اليـوم إن أزمعـت هجرانـا
يا «أم عمرو» جزاك الحـرفُ مغفـرة ... إذ عـاش في حرفنـا قتـلاك ألحانـا
قـرّت عيـون جريـرٍ في جريرتهـا ... وعـاش وهـو قتيـل الطـرف جذلانـا
«ولاّدة» و«ابـن زيـدونٍ» ومـا برحـا ... في مـترف الحـرف أشـواقاً وأشـجانا
تمضـي العصـور ولا زالا بأعيننـا ... رغـم البلـى... شـفة ظمـأى وظمآنا
ما قيمة الحسن إن لم نكسه حللاً ... مـن البيـان تريـك الحسـنَ ألوانـا!
وأي ثـورة قـومٍ مـا اهتـدت ومشـت ... بنـور حـرف أثـار الأرض بركانـا!
كم حـررت قولـةُ «الفاروق» من أممٍ ... وأبدلـت ذلّهـم كـبراً وإيمانـاً!
كم أشعل الحرف ثوراتٍ، وكم سجدت ... لـه العـروش، وكـم للحـق أهدانـا!
وأي أي مليـكٍ مـا أتـى صلفـاً ... يدلّـل الحـرفَ إجـلالاً وإذعانـا!
ما أعظم الحرف حتى التاج يرهبه ... مـا أفقـر التـاج في الدنيـا وأغنانـا!

❖❖❖

لنـا علـى كلّ شـمسٍ رفـرفٌ نديـت ... فيـه الظـلال عبـيراً مـن سـجايانا

لنا الليالي... وما فيهن من سمرٍ ... ولليالي حكايا عن حكايانا
لنا من الغيد ما في الغيد من غيدٍ ... إن راح يعشق أهل الأرض أبدانا
لنا من الراح روحٌ غير ذي سكَرٍ ... وتسكر الراحُ سماراً وندمانا
لنا الدروب.. الدروب الموصلات إلى ... كرم السماء لنا جنّاتُ رضوانا
ما هدّم الدهر حرفاً صيغ من دمنا ... يفنى الفناء... ويبقى فيه معنانا

❖❖❖

للشعر ثورة أحزاني نذرتُ لها ... قلبا، وروحاً، وإحساساً، ووجدانا
إن سامه الناس زلفى الناس في ضعةٍ ... فلست أرضى به الأكوان أثمانا

❖❖❖

الناس ملء عيون الليل قد هجعوا ... ومبدع الحرف يُحيي الليل سهرانا
يحيا... وفيما وراء الغيب عالمه ... فصار والنجمَ أحباباً وجيرانا
من حوله شمعةٌ ذابت محاولةً ... أن تسكبَ النور إشفاقاً، وتحتانا
على أكف نسيم الليل شعلتها ... كروحه لم تلِنْ، والعَصْفُ مالانا
والليل مثلُ همومِ المبدعين مشى ... فأغرق الكون لما سال طوفانا
واستسلم الناسُ في صمتٍ لرهبته ... وقد أبى الشاعر اليقظانُ إذعانا
يذوّب الليل جفنيه ومهجته ... فراح يسكب ذوبَ الروح ألحانا
كأنه والعطاء السمح شيمتُه ... أخو الفدائيِّ أهدى الروح قربانا

١٩٦٩